Raafat Chambour, **La responsabilité de l'Occident devant le danger de guerre,** (Edition Méditérrannéenes, Montreux, 1970).

يعبر هذا الكتاب ، عبر سياقه العام ومن خلال المشاريع والافكار الكثيرة التي يوردها ويطرحها ، عن اهتمامات جدية وصادقة من أجل بناء عالم أفضل يسوده السلام العادل وتختفي منه مآسي الحروب والعنف والدمار . ان مؤلف هذا الكتاب يبدو وكأنه انسان شغوف بالسلام حتى الغرق في أقصى انواع المثالية السياسية . وكما نعلم فان المثالية في السياسة ، وان كانت تعبر عن أماني وتطلعات كل البشر فانها تظل عاجزة عن ان تلتصق بالواقع وبالتالي فان كل معالجتها لمشاكل السياسة تظل أسيرة الفكر المجرد الخالص . نقول هذا لان هذا الكتاب لم يستطع في معالجته للقضايا السياسية التي طرحها الا أن يضيع أحيانا في بحر من المثالية وذلك بالرغم من المام المؤلف بماهية السياسة وبحدودها وواقعيتها . وقد يكون من المفيد ان نبدأ بعرض موجز لاهم ما تعرض له المؤلف في هذا الكتاب قبل ان نعمد الى تقييمه ، خاصة في الجزء الذي يتكلم فيه عن القضية الفلسطينية وارتباطها بمسألة السلام العالمي .

بالرغم من ان المؤلف قد قسم كتابه الى ستة اجزاء مميزة فاننا لا يمكننا الاخذ بهذا التقسيم في معرض دراستنا لما جاء فيه وذلك لان هناك تداخلا قويا بين هذه الاجزاء الى درجة يصح معها ان نقول ان هذا التقسيم ليس سوى تقسيما منهجيا . ففي الجزء الاول مثلا نجد دراسة قصيرة مدعمة بالوثائق عن السياسة الاوروبية في المنظمات الدولية بالاضافة الى تعداد لمشاريع السلام عبر التاريخ. وهذان كما نرى موضوعان متمايزان وان كانا مكملين لبعضهما بعضا . ويحذرنا المؤلف في بداية هذا الجزء من عواقب نسيان الماضي ويدعونا بالحاح الى الاستفادة من عبر التاريخ . كل هذا يظهر لنا وبكثير من الدقة والتحليل العوامل الثابتة في السياسة الاوروبية ويبين لنا الدوافع الكامنة وراءها بالاضافة الى حدودها وحجمها وفعاليتها ومناطق نفوذها وامتداداتها وموازين قواها . ثم ينفذ من هذا كله ليشدد على كون السلام محورا اساسيا في هذه السياسة فيحدثنا عن الخطوط العريضة لبعض مشاريع السلام الشهيرة وبشكل مشروع سولي من اجل « السلام الدائم والوحدة الاوروبية » ومشروع سينيه الجديد من اجل « السلام العام وحرية التجارة للجميع » وكذلك مشروع بنتهام واخيرا لا آخرا مشروع امانويل كنط من اجل السلام الدائم .

اما في الجزء الثاني فيحدثنا عن السياسة الاوروبية الخارجية (اي سياسة دول اوروبا بينها من جهة وسياستها تجاه العالم « غير المتمدن » من جهة ثانية) . فيظهر لنا المحاور التي كانت تتجاذب الدول الاوروبية آنذاك والتي أدت الى نشوب الحرب العالمية الثانية . ولهذا الجزء اهمية خاصة في دراسة التصرفات السياسية الاوروبية التي تتجاذب السياسة الاوروبية الآن .

اما الجزء الثالث فهو عبارة عن ملف وثائقي هام عن القضية الفلسطينية . وهو ، وان لم يأت بجديد في هذا المضمار الا انه يعتبر ملفا جامعا ومنظما لاهم المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية منذ أقدم التاريخ حتى يومنا هذا . كما انه يلقي أضواء كاشفة على حقيقة الارتباط العضوي بين الصهيونية وبين الاستعمار بالاضافة الى دراسته لظاهرة الصهيونية بحد ذاتها وبعدها عن الدين اليهودي رغم كل ادعاء . وأهم القضايا التي توقف عندها هي : الصهيونية والتوسع الاستعماري ، دور بريطانيا (وعد بلفور ، مسؤوليتها كدولة كبرى) ، مسؤولية عصبة الامم ، مسؤولية الامم المتحدة . بالاضافة الى دور اسرائيل كعنصر معاد للسلام وللطبيعة في المنطقة . وقد اظهر المؤلف هذا من خلال تقديمه للائحة بالادانات الحازمة التي صدرت عن مجلس الامن ضد اسرائيل وذلك منذ انشائها وحتى اليوم . وينتهي هذا الجزء بتحليل لمشروع روجرز الاخير ومضامينه وأبعاده وكيف انتهى . كل هذا ليقول لنا ان على العرب ان ينشدوا السلام بأي ثمن ولكن ليس أي سلام وبأي ثمن بل السلام العادل الذي هو وحده بامكانه ان يدوم وان يستمر .

وفي الجزء الرابع يشدد المؤلف على مسؤولية الغرب في صيانة السلام — أي غرب ؟ يبدو هنا ان المقصود هو أوروبا أولا وأخيرا باعتبارها ذات تاريخ سياسي عريق وذات تراث دبلوماسي يؤهلها للقيام بمثل هذا الدور . وفي هذا الجزء تحليل للسياسة الاوروبية والدولية في اطار الامم المتحدة